حُجيّة السُنَة

الدكتور
محمد بن لطفي الصباغ

جمعية الكتاب والسنة
رأف
Mercy is Grace رحمة الإنسان فضيلة
شبكة الألوكة
www.alukah.net

حجية السنة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حجية السنة

الدكتور

محمد بن لطفي الصباغ

جمعية الكتاب والسنة
الأردن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُقَدِّمَة

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وبعد، فهذه رسالة موجزة في بيان حجية السنة. كتبتها لشدة الحاجة إليها، ولبيان وجه الحق في هذه المسألة.

نسأل الله أن يلهمنا الصواب وأن يرينا الحق حقاً وأن يرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يرد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً.

إن الاحتجاج بالسنة في الإسلام أمر بديهي، ولا يحتاج إلى إثبات،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذلكم لأن الإسلام يقوم على دعامتين وركنين هما الكتاب والسنة. ولولا أن نفراً من المنحرفين أنكروا الاحتجاج بها لما احتاج المؤلفون والأئمة أن يؤلفوا فيها الكتب.

وأود أن أورد كلام الإمام السيوطي الذي ذكره في مطلع كتابه القيم: «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة». فقد قال رحمه الله:

[وإنّ مّما فاح ريحه في هذا الزمان وكان دارساً بحمد الله تعالى منذ أزل الزمان، وهو أن قائلاً رافضياً زنديقاً أكثر في كلامه أن السنة النبوية والأحاديث المروية - زادها الله علواً وشرفاً- لا يحتج بها[1]. وإن الحجة في القرآن خاصة، وأورد على ذلك حديث: «ما جاءكم عني من حديث فاعرضوه على القرآن فإن وجدتم له أصلاً فخذوا به وإلا فردوه» هكذا سمعت هذا الكلام بجملته منه، وسمعه منه خلائق غيري، فمنهم من لا يلقي لذلك بالاً. ومنهم من لا يعرف أصل هذا الكلام ولا من أين جاء.

فأردت أن أوضح للناس أصل ذلك وأبين بطلانه وأنه أعظم المهالك.

فاعلموا -رحمكم الله- أن من أنكر أنّ حديثَ النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجةٌ كفرَ وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفار.

روى الإمام الشافعي رضي الله عنه يوماً حديثاً وقال: إنه صحيح.

فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبد الله؟

---

(١) وهذا عجيب، فهم يحتجون بكلام أئمتهم ويبنون عليها أحكام الدين. ولم يقتصروا على القرآن فقط.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فاضطرب وقال: يا هذا أرأيتني نصرانياً؟ أرأيتني خارجاً من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زناراً؟ أروي حديثاً عن رسول الله ﷺ ولا أقول به؟

وأصل هذا الكلام الفاسد أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة والاقتصار على القرآن، وهم في ذلك مختلفو القصد.

فمنهم من كان يعتقد أن النبوة لعلي وأن جبريل عليه السلام أخطأ في نزوله إلى سيد المرسلين ﷺ. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ومنهم من أقر للنبي ﷺ بالنبوة ولكنه قال: إنّ الخلافة كانت حقاً لعلي، فلما عَدَلَ بها الصحابة عنه إلى أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين – قال هؤلاء المخذولون لعنهم الله- كفروا، حيث جاروا وعدلوا بالحق عن مستحقه، وكفَّروا – لعنهم الله- علياً رضي الله عنه أيضاً، لعدم طلبه حقه، فبنوا على ذلك ردّ الأحاديث كلها، لأنها –عندهم بزعمهم- من رواية قوم كفار.

فإنا لله وإنا إليه راجعون، وهذه آراء ما كنت أستحلُّ حكايتها لولا الضرورة من بيان أصل هذا المذهب الفاسد الذي كان الناس في راحة منه من أعصار].

وذكر السيوطي بعد ذلك أن هذه الفكرة الخبيثة ظهرت في وقت مبكر أيام الأئمة الأربعة، وذكر أن الشافعي تصدى لها في «الرسالة» ونقل عنه البيهقي في «المدخل»، وكذلك فعل الأئمة الآخرون.

وذكر أن الله جعل رسوله علماً لدينه بما افترض من طاعته وحرّم من معصيته وأبان من فضيلته بما قرن بين الإيمان برسوله مع الإيمان به.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال تبارك وتعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال الشافعي:

وفرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله فقال في كتابه:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

قال الشافعي:

فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ.

واستدل الإمام الشافعي على حجية السنة بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقوله سبحانه: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ أمراء سرايا رسول الله ﷺ، وقوله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾ يعني اختلفتم في شيء أنتم وأمراؤكم الذين أمرتم بطاعتهم.

وقوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يعني إلى ما قال الله والرسول.

وجاء في تهذيب الجلالين ما يأتي:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ اختلفتم ﴿فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: الكتاب ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ مدة حياته، وبعده إلى سنته أي: اكشفوا عليه منها].

واستدل الشافعي على حجية السنة بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

قال الشافعي وأبان أنه ﷺ يهدي إلى صراط مستقيم. وأورد الآية.

قال الشافعي أيضاً: وكان فرضُه على من عاين رسول الله ﷺ ومن بعده إلى يوم القيامة واحداً في أنّ على كلٍ طاعته. أي فرض الله طاعة رسوله على من عاينه وعاصره وعلى من أتى بعده إلى يوم القيامة.

وفي أيامنا هذه خرجت طائفة من الهند تحارب السنة يدعون أنهم قرآنيون وهذه الطائفة منحرفة عن الإسلام بل خارجة عنه.

كما نشأ في البلاد العربية جيل من الشباب الذين يمكن أن نعرفهم بأنصاف المتعلمين، قرأ الواحد منهم كتاباً حديثاً لمؤلف معاصر ثم انطلق يخبط في دين الله يقبل من الأحاديث ما يوافق هواه وبدعته، ويرد ما عداها دون علم ولا هدى، ولا يستطيع أحدهم أن يكتب صفحة دون خطأ ولا أن يقرأها دون لحن ثم ينشر الهذر الذي يقوله لأنه وجد الناشر الذي يعطيه فلوساً وينشر كلامه.

وانتشرت فتنة ردّ حديث الآحاد، فكل حديث لا يوافق هوى هذا المنحرف يقول: هذا حديث آحاد.

فيرد ما جاء في البخاري ومسلم وما جاء في غيره من كتب السنة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومما وسّع دائرة المصيبة هذا الإنترنت الذي يكتب فيه كل من يستطيع استخدام هذه التقنية، وقد أطلعني أحد الإخوان الكرام على سلسلة من المقالات لرجل قال كلاماً فظيعاً وردَّ عدداً من الأحاديث، ونال من بعض الأئمة المحدثين السابقين، وطعن في المتأخرين من أهل هذه العلوم الشرعية.

وكنت اطلعت على كلامٍ خطيرٍ نشرَ في مصر وردّ عليه ناس أفاضل فرأيت ذلك داعياً إلى نشر هذه الرسالة الموجزة وتتضمن ما يأتي:

١- الآيات التي تدل على وجوب العودة إلى السنة.

٢- الأحاديث التي تدل على وجوب العودة إلى العمل بالسنة.

٣- الأدلة على مكانة السنة في التشريع وحجيتها.

٤- الرد على القرآنيين الذين يدعون أنهم يريدون العمل بالقرآن، والقرآن منهم برئ.

٥- الرد على المشككين في صحة العمل بحديث الآحاد.

هذا وكانت جمعية الحديث الشريف وإحياء التراث في عمان نشرت متفضلة فصلاً من كتابي: (الحديث النبوي: مصطلحه- بلاغته- كتبه) وهو الفصل الذي كان بعنوان: (مكانة السنة في الشريعة) تفضلت بنشره بعنوان: (حجية السنة) وجعلته باكورة منشوراتها.

وأعيد اليوم نشر هذا النص مع الزيادات التي ذكرتها.

أقدمها للنشر وقد أحكم الكفرة الحصار على المسلمين فكرياً واجتماعياً وعسكرياً.

فهم يفرضون علينا مناهج من وجهة نظرهم.. وإن تعجب فعجب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قولهم إن مادة التربية الإسلامية يجب أن يحذف منها هذا ويضاف إليها كذا.

ويؤسفني أن أقول: إن بعض حكومات المسلمين استجابت لطلبهم، وفعلت ما يريدون. وهذا نتيجة الاستعمار الفكري الذي هو أشد خطراً وأسوأ أثراً من الاستعمار العسكري، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكذلك غزونا اجتماعياً يحاولون نشر عاداتهم والأمور المحرمة في ديننا بدعوى نشر الحرية وإنصاف المرأة.

وهم يفعلون ذلك بكل وقاحة... ويعقدون المؤتمرات ويريدون أن تكون بلادنا كبلادهم يسود فيها المنكر.

وغزونا عسكرياً فقد أقاموا في قلب البلاد الإسلامية وفي بقعة من بقاعها المقدسة دولة إسرائيل لتكون مخلباً ينقض على كل حركة إسلامية تدعو إلى اليقظة والنهضة على أساس من الكتاب والسنة، وها هي هذه الدولة تنكل بأهلنا في فلسطين وتقيم المستوطنات، وتبني الجدران العازلة المقسِمة للبلد الواحد في الضفة، وتعتقل وتشرد وتحاصر المسلمين في غزة تمنع عنهم الدواء والغذاء والماء ومواد البناء.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد رمانا هؤلاء الأعداء عن قوس واحدة فتجمعوا واحتلوا العراق ودمروها وأثاروا الفتن بين أهلها وناصروا أهل الفرق المنحرفة على أهل السنة والجماعة.

وكذلك يفعلون في أفغانستان وباكستان والشيشان وكوسوفو

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والبوسنة والهرسك والدول الأخرى.

والله غالب على أمره، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا إن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وكتبه

محمَّد بن لطفي الصَبَّاغ

الرياض في ٨/ ٧/ ١٤٣١ هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حجية السنة

الآيات التي تقرر حجية السنة كثيرة وسأقتصر على إيراد بعض منها وسيرد في ثنايا البحث عدد منها:

١- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

٣- ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

٤- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

٥- ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٤٨-٥٢].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦- ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

٧- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

٨- ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

٩- ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

١٠- ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

١١- ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

١٢- ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

١٣- ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٤- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

١٥- ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

١٦- ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

١٧- ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وأما الأحاديث فكثيرة جداً نقتصر منها على ما يأتي:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»

قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟

قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[1].

٢- عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال:

وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون. فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا.

---

(١) البخاري برقم: ٧٢٨٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي وإن من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»(١).

٣- قال البيهقي:

[ولولا ثبوت الحجة بالسنة لما قال ﷺ في خطبته بعد تعليم من شهده أمر دينهم:

«ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فرب مبلغ أوعى سامع».

ثم أورد حديث:

«نضر الله أمرأ سمع منّا حديثاً فأدّاه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع»(٢).

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إني تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبداً: كتاب الله وسنتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض»(٣).

٥- وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال:

«قد يئس الشيطان بأن يعبد بأرضكم، ولكنه رضي أن يطاع فيما ذلك

---

(١) رواه أبو داود برقم: ٤٦٠٧، والترمذي برقم: ٢٦٧٦، وابن ماجه برقم: ٤٦، والدارمي برقم: ١/ ٤٤ وغيرهم.

(٢) مفتاح الجنة ص ٤ وما بعدها..

(٣) أخرجه الحاكم ١/ ٩٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروا يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنة نبيه»[١]

٦- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال:

«لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمفتلجات للحسن المغيرات خلق الله».

قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت:

ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن والمغيرات لخلق الله؟

فقال عبدالله: ومالي لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ؟

ومن هو في كتاب الله عز وجل؟

فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لَوحيْ المصحف فما وجدت فيه ما تقول.

فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه. قال عز وجل:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فقالت المرأة: فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن.

قال: اذهبي فانظري.

فدخلت على امرأة عبدالله فلم تر شيئاً، فجاءت فقالت: ما رأيت شيئاً.

فقال: أما لو كان ذلك لم نجامعها[٢]

---

(١) أخرجه الحاكم ١/ ٩٣.

(٢) صحيح البخاري ٤٨٨٦ صحيح مسلم ،٢١٢٥، أي لم نبقها عندنا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٧- عن أنس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال:

«من أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي بالجنة»[١]

٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«القائم بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد»[٢].

٩- أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه أنه كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: الدية للعاقلة ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئاً، حتى قال له الضحاك بن سفيان: كتب إليّ رسول الله ﷺ أن أورّث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها. فرجع عمر رضي الله عنه.

وكان النبي ﷺ استعمل الضحاك على الأعراب. وهو حديث صحيح[٣].

١٠- وعن عبدالله بن عامر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام، فلما جاء بسرغ بلغه أن الوباء وقع بالشام، فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض أنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه».

فرجع عمر من سرغ.

وعن ابن شهاب عن سالم عن عبد الله أن عمر إنما انصرف من حديث عبد الرحمن[٤].

---

(١) رواه الترمذي برقم ٢٦٧٨.

(٢) رواه الحاكم والطبراني.

(٣) أخرجه أبو داود: ٢٩٢٧ والترمذي: ١٤١٥ وابن ماجه: ٢٦٤٢.

(٤) رواه البخاري برقم ٦٩٧٣ ورواه مسلم ٢٢١٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأدلة على مكانة السنة في التشريع وحجيتها

المصدران الأصليان للشريعة الإسلامية هما الكتاب والسُّنّة، فمكانة السُّنّة إذن رفيعة عظيمة، ولها قوة تشريعية ملزمة، وعليها يقوم جزء ضخم من كيان الشريعة، وليس للمسلم إلا اتباع أوامرها والوقوف عند حدودها.. ونستطيع أن نتبين مكانتها فيما يأتي

١- السُّنّة مبينة للقرآن: فقد كلف الرسول العظيم ﷺ بمهمة تبيين ما نزل إلى الناس ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٤٤]، وقد قام صلوات الله عليه بهذه المهمة خير قيام، فأدى الأمانة، وبلغ الرسالة، وبيَّن المراد من آيات الله..

٢- والسنة مفصلة لمجمل القرآن: ففي القرآن آيات تأمر بالصلاة والزكاة أمراً مجملاً، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]. وتأتي السُّنَة فتفصل عدد الصلوات، وأوقاتها، وعدد ركعاتها، ومبطلاتها، وتدل على شروطها وأركانها، كما تفصل ذكر الأموال التي لا زكاة فيها... وتفصل النصاب الذي فيه الزكاة، ومقدارها ونسبتها...

والأمثلة من السُّنَة على تفاصيل ما ورد في الكتاب الكريم مجملاً كثيرة كالصوم والحج والبيع.. إلخ..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أخرج الخطيب والسمعاني بسنديهما إلى عمران بن حصين[١]

أنه كان جالساً ومعه أصحابه، فقال رجل من القوم: لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال له: ادن. فدنا. فقال: أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك بالقرآن؛ أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً، والمغرب ثلاثاً تقرأ في اثنتين؟ أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك بالقرآن، أكنت تجد الطواف بالبيت سبعاً والطواف بالصفا والمروة؟ ثم قال: أي قوم! خذوا عنا، فإنكم والله إن لا تفعلوا لتضلن.

وفي رواية السمعاني: أتجد في كتاب الله الصوم مفسراً؟ إن القرآن أحكم ذاك، والسنة تفسّر ذلك[٢].

وورود آيات القرآن مجملة أمر طبيعي، لأن القرآن بالنسبة للمسلمين الدستور الذي يقرر لهم الأسس الفكرية والاجتماعية والسياسية والروحية التي يجب أن يقيموا مجتمعهم عليها، ويترك التفصيلات الجزئية للسُّنّة. على أن القرآن الكريم في بعض الأمور الهامة يذكر التفصيلات لأهميتها في حياة الناس كالإرث[٣] واللعان[١] والطلاق[٢]... وما شابهها،

---

(١) هو عمران بن حصين الخزاعي من علماء الصحابة، أسلم عام خيبر وكانت معه خزاعة يوم فتح مكة. توفي سنة ٥٢، وهو ممن اعتزل حرب صفين.

(٢) انظر «الكفاية» ص٤٨، و«أدب الإملاء والاستملاء» ص٤، وانظر «معجم الطبراني الكبير» ١٨/ ٢١٩ برقم ٥٤٧. هذا وقد أخرج أبو داود عن عمران بن حصين برقم ١٥٦١ وفيه: قال رجل لعمران بن حصين: يا أبا نجيد، إنكم لتحدثوننا بأحاديث ما نجد لها أصلاً في القرآن. فغضب عمران، وقال للرجل: أوجدتم في كل أربعين درهماً درهم.

(٣) انظر الآيات الواردة في الإرث في سورة النساء. الآيات (١١-١٢-١٧٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حتى لا يدع مجالاً للفرقة في المجتمع الإسلامي.

ولا بد من الإشارة إلى أن السُّنّة في تفصيلها مجمل القرآن تسير في هداه، وتنطلق من مبادئه وأسسه.

٣- وفي السُّنّة أحكام، عليها جمهور المسلمين لم تأت في القرآن كتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها(٣)، وحد شرب الخمر، ورجم الزاني المحصن، وميراث الجدة. قال الشوكاني: [إن ثبوت حجية السُّنّة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام](٤).

٤- وفي السُّنّة تخصيص لعموم محكم القرآن، ومن ذلك تخصيص الحديث: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم»(٥). الآية ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ

(١) انظر الآيات الواردة في اللعان في سورة النور. الآيات (٦-٧-٨-٩).

(٢) انظر الآيات الواردة في الطلاق سورة البقرة. الآيات (من الآية ٢٣٦ حتى الآية ٢٣٧) وسورة الأحزاب (الآية ٤٩) وسورة الطلاق الآيات (من الآية ١ حتى الآية ٧).

(٣) وذلك في الحديث المتفق عليه الذي أخرجه البخاري ٧/ ١١ برقم ٥١٠٩ ومسلم ٤/ ١٣٥ برقم ١٤٠٨، وانظر «تلخيص الحبير» ٣/ ١٦٧.

(٤) «إرشاد الفحول» ص٢٩.

(٥) «صحيح البخاري» (٨/ ١٣٠) برقم ٦٧٦٤، و«صحيح مسلم» (٥/ ٥٩) برقم ١٦١٤، وأخرجه أيضاً أبو داود (٣/ ١٨٣) برقم ٢٩٠٩، وابن ماجه (٢/ ٩١١) برقم ٢٧٢٩، ومالك في «الموطأ» ٢/ ٥١٩: أما النسائي فقد قال ابن الأثير في «جامع الأصول» ٩/ ٥٩٩: [أخرجه الجماعة إلا النسائي]. وهو في الكبرى ٤/ ٨٠ برقم ٦٣٧١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ [النساء: ١١]. قال الخطيب البغدادي: فكان ظاهر هذه الآية يدل على أن كل والد يرث ولده، وكل مولود يرث والده حتى جاءت السُّنّة بأن المراد من ذلك مع اتفاق الدين بين الوالدين والمولودين، وأما إذا اختلف الدينان فإنه مانع من التوارث](١).

٥- والقرآن الكريم نفسه يرد إلى السنة، ويوجب على المسلمين أن يطيعوا الرسول، ويَعُدُّ طاعة الرسول طاعة لله. قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [سورة النساء: ٨٠]. ويقرر القرآن أن رسول الله ﷺ أسوةٌ حسنةٌ لكل من آمن بالله واليوم الآخر: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١]. وأوجب الله في القرآن النزول على حكم النبي في كل خلاف، وأقسم الله -تبارك وتعالى- على نفي الإيمان عن كل من لا يحكمه، ولا يرضى بحكمه حتى يحكمه ويرضى بحكمه فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. وأخبرنا -جل ذكره- أن رسول الله ﷺ أوتي القرآن والحكمة (التي هي السُّنّة) ليعلم الناس أحكام دينهم ويزكيهم، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ

(١) «الكفاية» ص٤٥، وانظر فيه أمثلة أخرى خصصت فيها السُّنّة محكم القرآن، وانظر «إعلام الموقعين» لابن القيم ٢/ ٣١٨ وانظر كلام الشافعي في كتاب «أحكام القرآن» جمع البيهقي ١/ ٢٦.

بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. قال الإمام الشافعي في هذه الآية: (سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سُنَّة رسول الله.. فلم يجز أن يقال الحكمة هنا إلا سُنَّة رسول الله، وذلك أنها مقرونة مع الكتاب، وأن الله افترض طاعة رسوله، وحتم على الناس اتباع أمره[1].

وقال ابن تيمية: (والله سبحانه بعث محمداً بالكتاب والسنة، وبهما أتم الله على أمته المنة قال تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠-١٥١]. وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤]. وقد قال غير واحد من العلماء: منهم يحيى بن أبي كثير وقتادة والشافعي وغيرهم: الحكمة هي السنة لأن الله أمر أزواج النبي ﷺ أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من الكتاب والحكمة، والكتاب: القرآن، وما سوى ذلك مما كان الرسول يتلوه هو السنة)[2].

وهناك نصوص قرآنية أخرى عديدة تلزم المسلم بطاعة رسول الله وامتثال أمره فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ

---

(١) «الرسالة» ص٧٨ تحقيق أحمد محمد شاكر وكتاب «أحكام القرآن» للشافعي جمع البيهقي ١/ ٢٨ وانظر «جامع بيان العلم» لابن عبد البر ١/ ١٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٦.

﴿ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وليست طاعته إلا تنفيذ أوامره، ويقول تعالى في الثناء على المؤمنين الذين يطيعون رسول الله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، ومن ذلك قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]. وهكذا نرى هذه الآيات وغيرها تدل على أنَّ السنَّة في رتبة تشريعية ملزمة.

٦- وإذا ما رجعنا إلى الأحاديث الثابتة وجدنا طائفة ضخمة تصرح بمكانة السنة في الشريعة.

فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى».

قالوا: يا رسول الله. ومن يأبى؟

قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[1].

ومن ذلك ما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والدرامي عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها

(١) «صحيح البخاري» ٩/ ٧٥ برقم ٧٢٨٠، وانظر «رياض الصالحين» باب الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها.

القلوب، وذرفت منها العيون.

فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا.

قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وإن من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة». وقال الترمذي فيه: حديث حسن صحيح[1].

ومن ذلك ما أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي والحاكم وابن حبان في صحيحه عن أبي رافع قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أعرفَنَّ الرجل يأتيه الأمر من أمري: إما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: ما ندري ما هذا؟ عندنا كتاب الله، ليس هذا فيه»[2].

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والدرامي وابن حبان أيضاً عن المقدام بن معديكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني أوتيت الكتاب وما يعدله، يوشك شبعان على أريكته أن يقول: بيني وبينكم هذا الكتاب، فما كان فيه من حلال أحللناه، وما كان فيه من حرام حرمناه، ألا

---

(١) انظره في «سنن أبي داود» ٤/ ٢٨١ برقم ٤٦٠٧، و«الترمذي» ٣/ ٣٧٧ برقم ٢٦٧٦، و«سنن ابن ماجه» ١/ ٥-٦ برقم ٤٢ و«سنن الدرامي» ١/ ٤٤، و«المستدرك» ١/ ٩٥-٩٦، و«رياض الصالحين» باب الأمر بالمحافظة على السُّنَّة وآدابها.

(٢) «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» للهيثمي ص٥٥، وانظر «المسند» ٦/ ٨، و«سنن أبي داود» ٤/ ٢٨٠ برقم ٤٦٠٥، و«سنن ابن ماجه» ١/ ٧ برقم ١٣، و«الترمذي» ٣/ ٣٧٤ برقم ٢٦٦٣، و«المستدرك» ١/ ١٠٨-١٠٩، و«الكفاية» ٣٩ و٤٠ و٤١ و٤٢.

وإنه ليس كذلك»[١]

ومن ذلك ما روى أحمد وأبو داود والترمذي أن رسول الله ﷺ عندما أرسل معاذ ابن جبل إلى اليمن سأله: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟»

قال: أقضي بكتاب الله.

قال ﷺ: «فإن لم يكن في كتاب الله؟»

قال: فبسُنّة رسول الله.

قال ﷺ: «فإن لم يكن في سنة رسول الله؟»

قال: أجتهد رأيي ولا آلو.

فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال: «الحمد الله الذي وفق رسول رسولِ الله لما يرضي رسول الله»[٢].

---

(١) «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» للحافظ الهيثمي تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة ص٥٥ رقم الحديث ٩٧، وانظر «المسند» ٤/ ١٣١، و«سنن أبي داود» ٤/ ٢٧٩ برقم ٤٦٠٤، «الداومي» ١/ ١٤٤، و«ابن ماجه» ١/ ٦ برقم ١٢، و«الترمذي» ٣/ ٣٧٤ برقم ٢٦٦٣، و«أدب الإملاء» للسمعاني ٣-٤، و«السُّنَّة» لمحمد بن نصر المروزي ٦٧، و«المستدرك» ١/ ١٠٩.

(٢) أوردت كتب الأصول هذا الحديث، وقد رواه أحمد في «مسنده» ٥/ ٢٣٠ و٢٣٦و٢٤٦، وأبو داود في «سننه» ٣/ ٤١٢ برقم ٣٥٩٢ والترمذي في «جامعه» ٢/ ٢٧٥ برقم ١٣٢٧ وقال عقبة: (هذا الحديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بالمتصل)، والدرامي في «سننه» ١/ ٦٠، وأورد ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» ١٢٦. وأخرجه من طرق الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ١/ ١٨٨-١٨٩ وصححه، وذكر أن أهل العلم قد تقبلوه واحتجوا به، وأخرجه ابن كثير في مقدمة= ="تفسيره» ١/ ٣ وقال: (وهذا الحديث في «المسند» و«السنن» بإسناد جيد كما هو مقرر في

٧- ولقد كان السلف الصالح من الجيل المثالي من أصحاب رسول الله ﷺ يفقهون هذه المكانة للسُّنَّة تمام الفقه، ويحققون ذلك في حياتهم ويعدُّون اتباع النبي ﷺ شرطاً لا بد منه ليكونَ المرءُ مسلماً.

أخرج البخاري ومسلم عن عابس بن ربيعة قال: (رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر -يعني الحجر الأسود- ويقول: أعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك)[1].

وقال أمية بن عبدالله بن خالد بن أسد لعبدالله بن عمر: إنا نجدُ صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن، ولا نجد صلاة السفر في القرآن. فقال له ابن عمر: يا ابن أخي إن الله عز وجل بعث إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً،

موضعه)، ولكنه في «البداية والنهاية» ٥/ ١٠٣ نقل كلام الترمذي المتقدم ثم قال: (وقد رواه ابن ماجه من وجه آخر عنه من طريق محمد بن سعيد بن حسان وهو المصلوب أحد الكذابين) فتأمل. وانظر ترجمة محمد بن سعيد المصلوب في «الميزان» ٣/ ٥٦١-٥٦٣، ونقل الشيخ ناصر الألباني في كتابه «منزلة السُّنَّة» ص ١٥ عن البخاري أنه قال في هذا الحديث: إنه حديث منكر.

ونقل السبكي في «طبقات الشافعية» ٥/ ١٨٧ كلام الذهبي في الحديث وهو: (وأنّى له الصحة، ومداره على الحارث بن عمرو وهو مجهول عن رجال من أهل حمص، لا يدرى من هم؟ عن معاذ). وانظر ما جاء في «عون المعبود» ٣/ ٣٣٠.

(١) رواه البخاري ٢/ ١٢٥ برقم ١٦١٠، ومسلم ٢/ ٩٢٥ برقم: ١٢٧٠، وانظره في «رياض الصالحين» باب: الأمر بالمحافظة على السنة، وانظر طرقه في: «البداية والنهاية» لابن كثير ٥/ ١٥٣.

وإنما نفعل كما رأينا محمداً ﷺ يفعل[١].

٨- وكانت ضرورة تطبيق الشريعة وما جاء في القرآن ملزمة بالرجوع إلى السُّنَّة، كما رأينا في الأمثلة التي مرت في الفقرتين الثانية والثالثة مما شرحت به السنة مجملاً، أو نصت على حكم ليس في الكتاب. وروى مالك وأبو داود وابن ماجه والنسائي في الكبرى والخطيب البغدادي والحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» قال: روى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئاً، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً، ثم سأل الناس فقام المغيرة بن شعبة فقال: سمعت رسول الله ﷺ يعطيها السدس. فقال: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه[٢].

٩- إذا كانت السّنّة في معظمها -كما هو مقرر في بحث الحديث القدسي- وحياً من الله، فمن الطبيعي أن تكون للسُّنَّة هذه المكانة السامية في الشريعة.

---

(١) انظره في «الموطأ» ١/ ١٤٥، و«ابن ماجه» ١/ ٣٣٩ برقم ١٠٦٦ و«النسائي» ٣/ ٩٦، و«السنن الكبرى» للبيهقي ٣/ ١٣٦، وأحمد ٢/ ٩٤ والحاكم ١/ ٤٥٨ وابن خزيمة ١/ ٧٢ وقد أورده القرطبي في «تفسيره» ٥/ ٣٥٢.

(٢) «تذكرة الحفاظ» للذهبي ١/ ٢ والحديث رواه أبو داود: ٣/ ١٦٧ برقم ٢٨٩٤ والترمذي: ٣/ ١٨١ برقم ٢١٠٠ من حديث قبيصة بن ذؤيب مرسلاً وانظر الموطأ ٢/ ٥١٣ وابن ماجه برقم ٢٧٢٤ والنسائي في الكبرى ٤/ ٧٣ والكفاية ص٦٦ وانظر «تاريخ التشريع» للخضري ١١١-١١٢.

ومن أجل ذلك فقد قرر العلماء أنه لا فرق بينها وبين القرآن من ناحية وجوب العمل بمقتضاها بالنسبة للمسلمين إذا ثبتت لديهم، ومن هنا كان القرآن والسّنّة في حق الصحابة الذين يتلقون أقوال النبي ﷺ، كان القرآن والسّنّة في حقهم سواء من حيث وجوب الامتثال، بينما يختلف هذا الموضوع في حق من جاء في الأعصر المتأخرة من جماهير المسلمين، إذ أن هذه الأحاديث لم تصل إليهم كلها عن طريق متواتر يقيني الثبوت كما هو شأن القرآن.

١٠- هذا وإن الحركات الهدامة المعادية للإسلام استهدفت السّنّة تحاربها وتشكك فيها، وقد اتخذت ذلك سلاحاً من أسلحتها المتعددة، تريد القضاء على الإسلام، أو تحريفه وتشويهه، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. ومن العجيب أن نحتاج إلى توضيح مكانة السّنّة في الشريعة، وهل الشريعة في أصولها إلا هذا الكتاب المنزل. وتلك الأسوة الحسنة في حياة الرسول وأقواله؟!.

وهل في عالم الأفكار والعقائد والنبوات التي عرفتها البشرية منذ أقدم العصور حتى الآن فكرة واحدة تنحى منها طائفة من أقوال صاحبها؟!.

إنّ المكر للإسلام، والكيد له، والافتراء عليه، حتى تتشوه معالمه. جعلهم يدعون أن السّنّة لا حاجة لها، وأنه لا مكان لها في مصادر الشريعة، وأن القرآن وحده كاف، وزعموا أن ما كان يصدر عن النبي ﷺ من أقوال سواء أصحت عنه أم لم تصح تدبير مؤقت للمجتمع يوم

ذاك!!، إلى آخر هذه المزاعم الباطلة....

وقد تولى الإمام العظيم الشافعي في كتابه «الأم»[١].مناقشة هؤلاء الناس وذكر ما دار بينه وبينهم من محاجة وحوار، بأسلوب ممتع وبحجة ناصعة.

وقد يكون لبعض الفرق المنحرفة دور في ترويج هذه الدعوة الضالة، وتعليم هذا الكيد الحقير ميسور؛ إذ أن هذه الحركات الهدامة المعادية ما كان لها أن تنال من القرآن، ولا أن تثير حوله الشكوك، فلقد كان إعجازه سوراً شامخاً حال بين هؤلاء الحاقدين الموتورين وما يريدون، ولذلك فقد ظنت هذه الحركات الحمقاء أنها تستطيع أن تجد بغيتها في الحديث[٢]. فانطلقت بعض فئاتها المسعورة تشكك في اعتبار السّنّة مصدراً من مصادر الدين لشبهٍ باطلة لا تقف على قدميها أمام الحجة الساطعة والنقاش العلمي السليم، كادعاء صعوبة التمييز بين الموضوع وغيره، وهذا ادعاء باطل.

وانطلقت فئات أخرى تشكك في صدق بعض الصحابة، وتطعن بهم الطعن الفاحش، وممن استهدف من الصحابة الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه[٣].

وفي العصر الحاضر نجد فئة من المغرضين والمغفلين المخدوعين تدعو

---

(١) ذكر ذلك في كتاب «جماع العلم» من الجزء السابع من «الأم» ص٢٥٠.

(٢) انظر كلام الإمام الجوزي في كتابه «الموضوعات» ١/ ٣١.

(٣) انظر كتاب «السنة» للدكتور مصطفى السباعي وكتاب «أبو هريرة» للدكتور محمد عجاج الخطيب وكتاب «دفاع عن أبي هريرة» لعبد المنعم صالح.

بهذه الدعوة الضالة الهدامة في مصر والهند.

قال الأستاذ أبو زهرة:

[إن الذين يثيرون الغبار حول السّنّة فريقان: فريق ظهر مروقه من الدين مروق السهم من الرمية وقد ظهرت هذه الطائفة في الهند وباكستان[1].

والتقيت بنفر منهم، فحكمت بادئ الرأي عليهم بحكم لا يسر أتباعهم في مصر، ذلك أن هؤلاء لا يكتفون بإنكار حجية السّنّة، بل يفسرون القرآن بأهوائهم، وما يعرفون كلمة عربية، بل يفسرون الترجمة الأعجمية الباطلة، ويضربون الكتاب بعضه ببعض، فينكرون حكم آيات المواريث، وحكم آيات الصدقات، بل ينكرون بعض الصلوات، وهكذا كان عملهم إنكاراً، وتفكيرهم ضلالاً. وأصل هؤلاء من منبوذي الهنود، دخلوا في الإسلام ليفسدوه فضلّ سعيهم.. وساء ما يفعلون ويقولون.

وقد وجدنا أتباعاً لهذه النحلة الضالة المضلة في مصر، ولكنهم يهمهمون بأقوالهم في مجالسهم، ولا يعلنونها إلا لخاصتهم، ونحن لهم بالمرصاد بعون الله وتوفيقه.

---

(١) قام الأستاذ خادم حسين إلهي بخش بكتابة رسالة ماجستير في هذا الموضوع عنوانها «فرقة أهل القرآن بباكستان وموقف الإسلام منها» قدمها إلى كلية الشريعة بمكة (انظر جريدة المدينة العدد: ٥١٤٧ تاريخ: ٢٢ ربيع الآخر ١٤٠١ هـ).

وانظر في هذا الموضوع الفصل الذي كتبه الأستاذ مقتد أحسن محمد ياسين في المجلد الأول من البحوث والدراسات المقدمة لمؤتمر السيرة والسُنّة طبع قطر من ص٢١٠ إلى ٢٢٥.

الفريق الثاني من هؤلاء لا يظهرون إنكار حجية السّنّة ولكنهم يكثرون من التشكيك فيها وفي الرواة، ويدّعون أنهم يريدون تنقيتها، وأولئك منهم من يلبس العمائم ويتزيَّا بزي الإسلام ويتسربل بسربال علمائه... ويقول: إنه تخرج من معاهد أقيمت للدراسة الإسلامية. وهؤلاء نقول لهم: بدل أن تطعنوا بالجملة، خصّصوا، وادرسوا إن كنتم مخلصين، وائتونا بمجموعة تقيمون الدليل فيها على عدم صدق النسبة إلى النبي ﷺ، أما أن تلقوا القول على عواهنه، وتثيروا الغبار في الجو كله... فإن ذلك يدل على فساد المقصد، وسوء الطويّة، ويثبت أنكم لا تريدون للإسلام عزاً، ولا لأحكامه تقريراً وتثبيتاً][1].

ويبدو أن تاريخ هذه المقولة الآثمة تاريخ أسود ملطخ ، فقد ذكر الأستاذ السيد محمد رشيد رضا أن من أشهر الذين بحثوا في هذا الموضوع رجل يقال له ميرزا باقر، وقد كان تنصر، وصار داعية لمذهب البروتستانت، ثم عني بدراسة سائر مذاهب النصرانية ومذاهب اليهود، ثم عاد إلى الإسلام باجتهاد جديد، ودعا إليه في انكلترا[2]!!.

وقد سبق أن نشر محمد توفيق صدقي (المتوفى ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م) وهو طبيب مصري ليس من أهل الاختصاص بالعلوم الشرعية مقالين في مجلة المنار في العددين: ٧ و١٣ من السنة التاسعة، وقد رد عليه كل من الأساتذة طه البشري[3] والسيد محمد رشيد رضا[1] والدكتور مصطفى

(١) من مقال له في مجلة «حضارة الإسلام» الدمشقية، العدد (٥) السُّنَّة ص٢٥.

(٢) انظر ص٢٢٤ من العدد ٧ السنة التاسعة من مجلة المنار.

(٣) انظر ص٦٦٩ العدد التاسع من السنة ٩ من مجلة المنار.

السباعي[٢] رحمهم الله تعالى.

وقد كتب السيوطي رسالة في هذا عنوانها «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسّنّة»[٣].

واستطاع المفكر المهتدي محمد أسد النمساوي أن يكشف خبيئة هؤلاء الهدّامين فقال[٤]: [ولكي يستطيع نقدة الحديث المزيفون أن يبرروا قصورهم وقصور بيئتهم فإنهم يحاولون أن يزيلوا ضرورة اتباع السّنّة، لأنهم إذا فعلوا ذلك كان بإمكانهم حينئذ أن يتأولوا تعاليم القرآن كما يشاؤون على أوجه من التفكير السطحي، أي حسب ميول كل واحد منهم، وحسب طريقة تفكيره هو، ولكن تلك المنزلة الممتازة التي للإسلام على أنه نظام خلقي وعملي، ونظام شخصي واجتماعي تنتهي بهذه الطريقة إلى التهافت والاندثار].

ولعل من المفيد أن نورد رأي ابن حزم والشاطبي في أمثال الذين يقولون بذلك، قال ابن حزم في «الإحكام»:

(ولو أن امرأً قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر، ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة، ولا حد للأكثر

---

(١) انظر ص ٥٢٤ من العدد ٧ السنة ٩ وص ٩٢٥ من العدد ١٢ السنة التاسعة.

(٢) انظر رده الرائع في كتابه «السنة» من ص ١٦٥ حتى ص١٧٩ الطبعة الأولى.

(٣) وهي مطبوعة في المجلد الثاني من مجموعة الرسائل المنيرية وقد أشرنا إلى هذه الرسالة في مطلع الكتاب.

(٤) «الإسلام على مفترق الطرق» ص٩٥.

في ذلك، وقائل هذا كافر مشرك حلالُ الدم والمال)[١].

وقال الشاطبي:

(والرابع أن الاقتصار على الكتاب رأي قوم لا خلاق لهم خارجين عن السنة، إذا عولوا على ما بنيت عليه من أن الكتاب فيه بيان كل شيء، فاطرحوا أحكام السّنّة، فأدَّاهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله)[٢].

ويقرر الأستاذ محمد أسد أنَّ ترك السّنّة ترك للإسلام فيقول:

[إنّ العمل بسُنَّة رسول الله ﷺ هو عمل على حفظ كيان الإسلام، وعلى تقدمه، وإن ترك السّنّة هو انحلال الإسلام... لقد كانت السّنّة الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، وإنك إذا أزلت هيكل بناءٍ ما أفيدهشك بعدئذٍ أن يتقوض ذلك البناء كأنه بيت من ورق][٣].

ولكن عظمة الإسلام التي حطمت كل العقبات، وصمدت أمام كل العاديات، ستصون برعاية الله وعنايته هذا الإسلام، الذي سيبقى على وجه الدهر منارة خالدة، تبدد ظلمات الجهل، والانحراف والضلال:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

---

(١) «الإحكام» ٢ ص٨٠.

(٢) «الموافقات» أول الجزء الرابع، ص١٧.

(٣) «الإسلام على مفترق الطرق» ص٨٥.

رأينا بعض الآيات والأحاديث التي تثبت حجية السّنّة، وإن كل من كان مؤمناً بالله ورسوله يقف على هذه النصوص يلزمه الإيمان بحجية السنة وقد وقفنا على حقيقة الذين يزعمون أنهم قرآنيون فهم لا يريدون تحكيم القرآن بل يريدون هدم الشريعة المطهرة.

***

وهناك فريق آخر ينكر حجية السنة بسبب حديث الآحاد.

إننا في حياتنا اليومية نقبل حديث الآحاد ونعمل بها، وقد يحسن أن نعّرف بحديث الآحاد وبالحديث المتواتر.

فالحديث المتواتر[1]: هو الحديث الذي يرويه جمع تحيل العادة (أي يستحيل عادة) تواطؤهم على الكذب، عن جمع مثلهم، في كل مراحل السند من أول السند إلى آخره، ويكون الخبر عن أمر حسي ومعتمداً على الحسّ، وأن يورده الراوي بصيغة الجزم واليقين لا بصيغة الشك أو الظن.

إذن فلا بدّ من أن تتوافر في الحديث المتواتر الأمور الآتية:

١. أن يخبر به جمع يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب.

٢. وأن يكون ذلك في كل مراحل السند.

٣. وأن يكون الخبر معتمداً على الحسّ كالرؤية والسمع، لا على أمر عقلي كالإخبار بأن العدل خير من الظلم.

٤. أن يورده الراوي بصيغة الجزم واليقين لا بصيغة الشك أو الظن.

فإذا تخلف أمر من هذه الأمور لم يكن الحديث متواتراً والخبر المتواتر

---

(١) انظر كتابنا: الحديث النبوي ص٢٢٩.

يفيد العلم اليقيني نفسه.

وينقسم المتواتر إلى متواتر لفظي ومتواتر معنوي:

فالمتواتر اللفظي: هو الحديث الذي رواه الجمع المذكور في كل مراحل السند بلفظ واحد وصورة واحدة. وهو قليل. ومنه الحديث: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

والمتواتر المعنوي: هو الذي يكتفى فيه بأداء المعنى، ولو اختلفت الألفاظ برواية جمع عن مثلهم تحيل العادة تواطؤهم على الكذب.

وحديث الآحاد ويسمى خبر الآحاد: وهو الخبر الذي لم توجد فيه شروط المتواتر. أي: هو الخبر الذي لم تبلغ نقلته في الكثرة مبلغ المتواتر سواء كان المخبر واحداً أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة... إلى غير ذلك من الأعداد التي لا تشعر بأن الخبر دخل في حيز المتواتر.

وهو قسيم المتواتر كما هو واضح من التعريف الذي أوردناه، إذن كل ما عدا المتواتر فهو آحاد.

وحديث الآحاد حجة يجب العمل به إذا صح. وعلى هذا جمهور المسلمين. وقد خالف في ذلك القدرية والرافضة[2].

---

(١) أفرد عدد من العلماء طرق هذا الحديث وجمعوها بجزء مستقل، وقد أورد كثيراً من هذه الطرق ابن الجوزي في مقدمة «الموضوعات»، والسيوطي في «تحذير الخواص»، ونقلها عنه ملا علي القاري في كتابه «الأسرار المرفوعة».

(٢) انظر في حجية حديث الآحاد المراجع الآتية: «شرح مسلم» ١/ ٦٢ و ١٣١-١٣٢، و«أحكام القرآن» للشافعي ١/ ٣١، و «الرسالة» للشافعي ص٣٦٩ و«اختلاف الحديث» للشافعي ص٣ ومابعدها، و«فتح الباري» ١٣/ ٢٣١، و«المستصفى» للغزالي ١/ ١٤٥-١٧١،=

وأحكام الشريعة في معظمها قائمة على السّنّة، فردّ أحاديث الآحاد ردّ للشريعة.

والحق أن هؤلاء المنحرفين يريدون انسلاخ الأمة من الإسلام لأنهم يقولون: الذي يدل على اليقين هو الخبر المتواتر وهو متحقق في القرآن وفي عدد قليل من الأحاديث. فإذا جاؤوا إلى الآية القرآنية المنقولة بالتواتر عمدوا إلى حيلة أخرى قالوا: إن الآية ثابتة الإسناد قطعية الثبوت لكن دلالتها ليست قطعية الثبوت، ويلجؤون إلى التأويل وما إلى ذلك.

قلت: إننا في حياتنا الواقعية والعلمية نقبل أخبار الآحاد فإذا أخبرنا ثقة أن العالم الفلاني موجود في البلد سارعنا إليه لنتلقى عنه العلم ولا ننتظر أن يكون الخبر متواتراً وهكذا في شؤوننا الاقتصادية.

إن الذي لا يقبل خبر الآحاد يعزل نفسه عن الحياة والمعرفة، فلا يقبل الأخبار العلمية ولا السياسية ولا الاجتماعية ولا التاريخية ولا النصوص الشرعية.

إن ذلك مكر يمكر به هؤلاء المنحرفون الضالون لنسف الشريعة.

قال ابن القيم: [المبطلون يبطلون من نصوص الوحي: فنصوص القرآن عندهم لا تفيد علماً من جهة الدلالة. وهذه – أي أخبار الآحاد-

---

=و«مسودة آل تيمية» ٢٣٧-٢٣٨ و«الكفاية» للخطيب البغدادي ٥٣ وما بعدها، و«مختصر الصواعق» ٢/ ٣٣٢ وما بعدها، و«الإحكام» لابن حزم ١/ ١٠٨-١٤١، و«قواعد التحديث» للقاسمي ١٢٩، و«أخبار الآحاد= =وحجيتها» لعبدالله بن جبرين، هذا وقد كتبت الباحثة منيرة بنت فراج علي العقلا رسالة ماجستير بعنوان «حجية خبر الآحاد في العقيدة» في ٤٧٠ صفحة.

لا تفيد علماً من هذه الجهة ولا من جهة السند، وهذا إبطال لدين الإسلام][1].

قال الإمام الشافعي:

[فإن قال قائل: فأين الدلالة على قبول خبر الواحد عن رسول الله، قيل له إن شاء الله:

- كان الناس مستقبلي بيت المقدس، ثم حولهم الله إلى البيت الحرام، فأتى أهل قباء آت وهم في الصلاة فأخبرهم أن الله أنزل على رسوله كتاباً وأن القبلة حولت إلى البيت الحرام، فاستداروا إلى الكعبة وهم في الصلاة.
- وإن أبا طلحة وجماعة كانوا يشربون فضيخ بُسر -ولم يحرم يومئذ من الأشربة شيء- فأتاهم آت فأخبرهم أن الخمر قد حرمت، فأمروا أناساً فكسروا جرار شرابهم ذلك، ولا شك أنهم لا يحدثون في مثل هذا إلا ذكروه لرسول الله ﷺ إن شاء الله، ويشبه أن لو كان قبول خبر مَن أخبرهم وهو صادق عندهم مّما لا يجوز لهم قبوله أن يقول لهم رسول الله ﷺ: قد كنتم على قبلة ولم يكن لكم أن تحولوا عنها إذ كنت حاضراً معكم حتى أعلمكم أو يعلمكم جماعة أو عدد يسميهم لهم، ويخبرهم أن الحجة تقوم عليهم بمثلها لا بأقل منها إن كانت لا تثبت عنده بواحد. والفساد لا يجوز عند رسول الله ﷺ ولا عند عالم، وإهراق حلالٍ فسادٌ.

فلو لم تكن الحجة أيضاً تقوم عليهم بخبر من أخبرهم بتحريم لأشبه أن يقول قد كان لكم حلالاً ولم يكن لكم فساد حتى أعلمكم أن الله جل

(١) «الصواعق المرسلة» ٢/ ٣٣٥.

وعز حرمه، أو يأتيكم عدد يحده لهم بخبر عني بتحريمه][1].

وجاء في الأحاديث الصحيحة ما يدل على أن خبر الواحد الثقة مقبول ويجب العمل به.

• ومن ذلك ما صح أن رسول الله ﷺ أرسل معاذاً وعلياً إلى اليمن وكان من الواجب على أهل اليمن أن يستمعوا ويعملوا بما سمعوا من قرآن وسنة.

• ومن ذلك ما رواه البخاري وغيره.

لما نزلت الآية في التوجه إلى المسجد الحرام مرّ أحد الصحابة على مسجد فوجدهم يصلون إلى بيت المقدس فأخبرهم بتحويل القبلة فتوجهوا كلهم إلى جهة مكة.

فقد أخرج البخاري عن البراء رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وأنه صلّى صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلّى معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبل مكة فداروا كما هم قبل البيت[2].

ومن ذلك ما رواه البخاري:

لما نزلت آية تحريم الخمر وبلغ المسلمين خبر ذلك أهرقوا ما عندهم من

---

(١) «اختلاف» الحديث ٨-٩.

(٢) رواه البخاري برقم: ٤٤٨٦.

دنان الخمر حتى جرت بها سكك المدينة فقال:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً، إذ جاء رجل فقال: هل بلغكم الخبر؟

قالوا: وما ذاك؟

قال: حُرمت الخمر.

قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس.

قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل[1].

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه قال:

كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر، فأمر منادياً فنادى.

فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت؟

قال: فخرجتُ فقلت: هذا منادٍ ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت.

فقال لي: اذهب فأهرقها.

قال: فجرت في سكك المدينة[2].

قال ابن حزم:

[وبالضرورة نعلم أن النبي ﷺ لم يكن إذا أفتى بالفتيا أو إذا حكم بالحكم يجمع لذلك جميع من بالمدينة، هذا ما لا شك فيه، لكنه عليه

---

(١) رواه البخاري برقم: ٤٦١٧.

(٢) رواه البخاري برقم: ٤٦٢٠.

السلام كان يقتصر على من بحضرته، ويرى أن الحجة بمن يحضره قائمة على من غاب. هذا ما لا يقدر على دفعه ذو حس سليم][1].

قال الإمام الشافعي:

[فرأينا الدلالة عن رسول الله ﷺ بقبول خبر الواحد عنه فلزمنا -والله أعلم- أن نقبل خبره إذا كان من أهل الصدق].

(١) «الإحكام» ١/ ١١٤.

خاتمة

هذه جولة موجزة في موضوع (حجية السنة).. وهو موضوع مهم ويتعرض إلى هجمة شرسة، تستخدم فيها الوسائل الحديثة في نشر هذا الضلال عن طريق الصحف والإنترنت والمحطات الفضائية والإذاعة والتلفاز.

ومع هذا الكيد والمكر فنحن مطمئنون أعظم الطمأنينة إلى أن هذه الهجمات ستبوء بالإخفاق، وستؤول إلى الاندثار والزوال. كما آلت سابقاتها عبر العصور، وبقي دين الله بصفائه ونقائه يتحدى كل محاولات الهدم والتشكيك وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأحب أن أقول: إن هناك إلى جانب هذه الصفحة السوداء من الواقع هناك صفحة بيضاء، ولعلها من حيث الحجم والفاعلية أضخم من تلك، تتجلّى في الإقبال على السنة دراسةً ونشراً لكتبها ومدوناتها التي لم يسبق لها أن نشرت، وكذلك ما سبق أن نشر أيضاً.

سواء كان هذا في الهند أم في البلاد العربية. ونشأ جيل من الشباب والشابات يلتزم بالعمل بالسنة، ويسأل عن الدليل في أي حكم من أحكام الشريعة وعن درجة هذا الدليل.

كل هذا يدلّ على أن المستقبل للإسلام، وبهذه البشرى جاءت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تقرر هذه الحقيقة.

قال الله تباركت أسماؤه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ

أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١] ولا شك أن الذين يريدون هدم السنة هم ممن يحادون الله ورسوله، إن مصيرهم الذل، وكتب الله أن الغلبة له ولرسله، وقال تعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

فالمعركة محسومة.. ووعد الله لا يتخلّف فقد قال سبحانه:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

وقال عز وجل: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

وأما الأحاديث فكثيرة نورد منها ما يأتي:

قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله زوى لي الأرض: مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زُوي لي منها»(١).

وعن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلاّ أدخله هذا الدين، بعزِّ عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً

(١) رواه مسلم ١٩٢٠ وأبو داود ٤٢٥٢ والترمذي ٢١٧٦ وابن ماجه ٣٩٥٢ وأحمد ٥/ ٢٧٨.

يذل الله به الكفر»[١].

وعن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلّا دخلته كلمة الإسلام يُعزّ عزيزاً ويذل ذليلاً، إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها وإما يذلهم فيدينون لها»[٢].

نعم سيكون النصر للإسلام كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة وسيندحر أعداؤه وقد شهدنا في حياتنا اندحار قوى غاشمة كانت تناصب الإسلام العداء، كالاتحاد السوفياتي الشيوعي الذي نكل بالمسلمين وقتل منهم الملايين وشرّدهم، ودمّر مساجدهم، وحال بين أبنائهم وبين معرفة الإسلام.. فقد زال وتمزقت أجزاؤه وأصبح أثراً بعد عين.

وبقي المسلمون في تلك البلاد يترايدون، نسأل الله لهم العون والوعي والعودة إليه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

وإني إذا نظرت إلى هؤلاء الأقزام الذين يهاجمون السنة المشرفة يهاجمون ذاك المستوى الرفيع من البيان ومن تقرير شرع الله تذكرت أبيات أبي العلاء إذ يقول:

إذا وصف الطائي بالبخل ما در ... وعيّر قساً بالفهاهة باقل

وقال السها للشمس: أنت خفية ... وقال الدجى: يا صبح لونك حائل

---

(١) أحمد ٤/ ١٠٣.

(٢) أحمد ٦/ ٤.

وطاولت الأرضُ السماء سفاهة وفاخرت الشهبَ الحصى والجنادل
فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

ألا فلتقر أعين المؤمنين بحفظ الله للكتاب، وبحفظ علماء السنة لحديث رسول الله ﷺ والحمدلله رب العالمين.

فهرس

الموضوع	الصفحة
- المقدمة	٥
- الآيات الدالة على وجوب العمل بالسنة	١٣
- الأحاديث الدالة على وجوب العمل بالسنة	١٥
- الأدلة على مكانة السنة في الشريعة وحجيتها	١٩
• السنة مبينة للقرآن.....	١٩
• السنة مفصلة لمحكم القرآن.....	١٩
• في السنة أحكام لم تأت في القرآن	٢١
• القرآن يردّ إلى السنة.....	٢٢
• الأحاديث الثابتة تقرر مكانة السنة.....	٢٤
• موقف الصحابة من السنة.....	٢٧
• ضرورة تطبيق الشريعة تلزم بالرجوع إلى السنة	٢٨
• السنة في معظمها وحي من الله	٢٨
• الحركات الهدامة استهدفت السنة	٢٩
• الردّ على القرآنيين	٣٠
• ردّ الشافعي عليهم	٣٠
• أبو زهرة يرد عليهم	٣١
• علماء معاصرون يردون عليهم	٣٢

- الرد على المشككين في صحة العمل بحديث الآحاد ٣٥
- حديث الآحاد والحديث المتواتر ٣٥
  - الحديث المتواتر ٣٥
  - حديث الآحاد ٣٦
  - الأدلة على وجوب العمل بحديث الآحاد ٣٨
- الخاتمة ٤٣